الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب
واستيلاؤها على الفكر وفي هذا من اللذة ما يغمر العقل الاجتماع لذة الالحان
وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى في اللذة من
اعناق الشواب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود في الجنة
مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد
اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل
الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب
جل جلاله وخطابه لهم سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة
ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة والانشاء
من ناظمها واسناد الاملاء اليهما مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك التنزه
واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته
وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأْتَ بِهِ ٥
اِسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ كل وصف له من صفاته
الذاتية والمعنوية ابتدأت انت او انا به في الذكر او ابتدأت بذكره لتحيط
بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول مقدم اي جميع اخبار الفضائل والكمال
منه متعلق بقوله ابتداء اي كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم
وتأملت ما اشتمل عليه صريحا او ايماء جمع ذلك الوصف للمبتدي جميع انواع الفضل

وغايات

١٠٦ وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ
يجر بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان
كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته
صلى الله عليه وسلم يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما
كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله
عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على
من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي ابي العباس المرسي ووارث
ابي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته في شرح هذا البيت
يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه
يجب عليك ان تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان
بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده في ادمي
مثله وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الاخلاق
وجلائل الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره
في كل من ذينك ومن ثم قال الناظم في بردة المديح فهو الذي تم معناه وصورته
البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه
وبين غيره لانه الذي تم معناه دون غيره ولو سوى لم يتم معناه وما احسن
قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين

Copyright © King Saud University